

## كتب التراجم

بمناسبة كتاب روزفلت (\*)

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الكاتب الغربي في الترجمة له إنصافاً لمعلمته وإظهاراً لفضله .  
وقد يكون ذلك العظيم غربياً فيجد الكاتب الشرقى لذة وفائدة  
لبلاده ومعرضاً لمرض المثل الصالح والأسوة الحسنة  
وكتابة التراجم المطولة ، والدراسات الشخصية المعتدلة  
المنصفة لا تنقيد بوطن ولا جنس ، ولا شرق ولا غرب ،  
ولا دين ولا مذهب

فأميل درمنجهم كتب عن حياة النبي محمد ، وأميل للدويج  
كتب عن حياة المسيح ، وفيليب جوادالاً كتب عن حياة  
نابليون الثالث ، وماريوس أندريه كتب عن حياة خريستوف  
كولب ومغامراته فوق أتباج المحيط ، والسير والتر سكوت  
كتب عن حياة نابليون بوناپرت ، وتوماس كارليل الإنجليزي  
ترجم لفردريك شيلر الشاعر الألماني ، وآرم سترونج كتب  
عن الذئب الأطلس أناتورك ، وكرايبتس كتب عن إبراهيم باشا  
واسماعيل باشا المصريين

لهذا ليس عجيباً في باب التراجم أن يكتب مصرى عن غير  
مصرى ، أو يترجم عربى لحياة غير عربى كما صنع الدكتور

قد تسهوى الإنسان سيرة عظيم من العظماء ، أو أديب  
من الأدباء ، أو عالم له في ميدان البحث العلمى مجال ، أو معاصر له  
في الكشف مصاولة ، فيقرأ عنه ويتبع حياته ، ويجد في مثله  
العالى ما يستحق العرض والتجلية . ثم يحمله الإعجاب به  
والاتصال به - من قريب أو بعيد - على الكتابة عنه والترجمة له  
ووصف الظروف التى كوته ، والأقدار التى أحاطت به ،  
والأحداث التى ألمت بعصره ، والمبادئ التى تحدت عنه

وقد يكون ذلك العظيم - موضوع الترجمة - شرقياً فيجد  
الكاتب الشرقى تفرأ في الكتابة عنه والترجمة له ، مدفوعاً إلى  
ذلك بعامل الاشتراك فى الجنس أو اللغة أو الدين . ويجد

(\*) كتاب روزفلت للأستاذ فؤاد صروف طبع مطبعة المعارف

### وفاته

اختلف المؤرخون فى السنة التى انتقل فيها الخليل إلى  
جواربه ، فذهب جمهورهم إلى أنه توفى سنة ١٧٠هـ . وقال آخرون  
سنة ١٧٥هـ وقال بعضهم سنة ١٦٠هـ وأغرب خطأ وقع فى ذلك  
هو قول ابن الجوزى فى كتابه شذور القعود أنه مات سنة ١٣٠هـ  
وهو منقول عن الواقدى . قال المحقق ابن خلكان أنه خطأ قطعاً  
والصواب ما أثبتناه أولاً

وكانت وفاته فى البصرة مستقط رأسه فكانت البصرة  
مشرق هذا الكوكب الرقاد ومقره . وقد ضمته تربتها إلى من  
ضمت من أعلام العلم وأقار الفضل ونجوم الهدى ورجال التقى  
الذين حلوا الآداب بأنفس الحلى ، ونهضوا بالمعارف الإنسانية إلى  
مراتب العلاء ، فكانوا للعلم مجالاً ، وللتاريخ أبهة وجلالاً ، رضى الله  
عنهم ورضوا عنه ولقاهم فى دار رضوانه بحية وسلاماً

له الراوى

(بنداد)

الخليل للرسول خبزاً يابساً وقال : كل فما عندى غيره . ومادمت  
أجده فلا حاجة بي إلى سليمان . فقال الرسول : فاذا أبلغه ؟ فقال له ؛  
أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال  
شعاً بنفسى أنى لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال  
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه

ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال  
وكان سفيان بن عيينة يقول : من أحب أن ينظر إلى رجل  
من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل . وقال تلميذه النضر  
ابن شميل أقام الخليل فى خص بالبصرة لا يقدر على فلسين  
وتلاميذه يكسبون بعلمه الأموال الطائلة  
ومن أوابد حكمه :

وقبلك داوى المريض الطيب فماش المريض ومات الطيب  
فكمن مستعداً لدار الفنا . فإن الذى هو آت قريب  
وبالجملة فقد كان الخليل إحدى حسنات هذه الأمة وقرأ  
من أقارها ، ودرتغى تاج مفاخرها

والتاريخ ولا يعنى بالدراسة والسيكولوجية والتحليل والنظرة العامة أو المقارنة . وكتب المؤرخ ابن الجوزى عن العمرين ( ابن الخطاب وابن عبد العزيز ) . وكتاب يوسف بن شداد عن

صلاح الدين الأيوبي خير مثال لهذا النسق المتين

أما اليوم فقد تغير الجرى واستقام النسق وتأثر كتاب العربية بكتاب الترجمة في هذا الباب ، وأخذوا عنهم طرق الدرس ومناهج البحث ، وظفرت المكتبة العربية بما كتب هيكل عن النبي محمد وأبي بكر ، وبما كتب العقاد عنهما وعن عمر وسمد زغلول ، وبما كتب الراجي عن مصطفى كامل ؛ وفؤاد صروف عن روزفلت

وكتابة التراجم لها في الآداب الأوربية اعتبار أى اعتبار ، ولا يكاد يخلو إنتاج أديب ملحوظ من ترجمة شخصية أعجب بها وتوفر على درسها ، مهما كان لون هذه الشخصية ومزاجها ومجالها الحيوى في السياسة أو العلم أو الفن . فلويس ديميه يكتب عن ديكرات الفيلسوف ، وهنرى يرو يكتب عن روبسيير ، وفرانسوا مورياك عن راسين ، وراؤول أرنو عن كاسيل ديمولان ، وأميل لدويج عن روزفلت

ومن كتب التراجم ما يتحدث فيه المرء عن نفسه ويترجم لذاته . وهذه التراجم غير كتب المذكرات التى يدون فيها رجل ممتاز حوادثه اليومية كذاكرات اللورد جراى . وقد تكون هذه التراجم الذاتية قطعاً أدبية ممتازة كترجمة (لى هانت) لنفسه وهو من كتاب الإنجليز في القرن التاسع عشر ، وترجمة دى كوينسى التى كانت سابقة على كتابه المشهور « اعترافات آكل أفيون » ، وترجمة جيبون المؤرخ الإنجليزى التى حكم لها النقاد بالامتياز في نوعها وأسلوبها الذى يمد بحق مزبة ذلك المؤرخ العظيم

والترجمة للأناس تتطلب فناً غير ترجمة الحيوان الأعجم . لأن ترجمة الناس تقتضى الاختلاط بهم أو السماع عنهم أو القراءة لهم أو رؤية آثارهم . أما الترجمة للحيوان فتقتضى ملاحظة أقوى وجهداً أكثر ، وعلماً أغزر ، وإحساساً أعمق . وتوفر الكثير من هذا في موريس مترنك ، فترجم لحياة النحل وحياسة النمل

محمد حسين هيكل مع جان جاك روسو ؛ وعبد الرحمن بدوى مع نيتشة واشبنجلر وغيرها من أعلام الفكر والفلسفة ؛ وحسن محمود مع ديستوفسكى ، وفؤاد صروف مع روزفلت

وقد يقال إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن فرانكلين روزفلت هو من قبيل السياسة . وهو كلام فيه كثير من الحق . ولكن ما أحوجتنا نحن قراء العربية إلى كتب من هذا الطراز فإن الفقر يضرب على مكتبتنا العربية في هذا الباب لولا ما أخرج العقاد عن سعد زغلول ، وما أخرج عبد الرحمن الراجي عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، وما صنعه محمد فريد أبو حديد مع السيد عمر مكرم ، وما كتبه كريم ثابت عن فؤاد الأول

إلا أن هؤلاء استوحوا وطنهم واستمدوا من تاريخ بلادهم وترجموا لأعلام رجالهم ، ولكن فؤاد صروف استشرف إلى ما وراء العباب ، واستكف ما خلف السحاب ، فكتب كتابه الأول عن تشرشل ( وقد كتبت عنه في حينه بالرسالة الفراء ) وأخرج كتابه الثانى عن روزفلت . ولكن ذلك لا ينقص من شأن كتابه ، بل على الضد من ذلك يرفع من قيمته ويغنى من بضاعته . لأن حياة روزفلت وسيرته وقصة كفاحه هى شطر من حياة الديمقراطية وقصتها . ومن منا اليوم لم تشغله قضية الديمقراطية ولم تفتنه قصتها ؟ ومن منا لم تذهب نفسه اليوم حشرات على المحنة التى تبتلى الحرية اليوم بها وتصلى بناها ؟

ولا يرجع إعجاب فؤاد صروف بشخصية روزفلت إلى زمن اشتراك أمريكا في الحرب ، ولا إلى اندلاع الشرارة الأولى لها حتى يقال إنه حب طارىء وإعجاب عارض ؛ ولكنه حب متمكن وإعجاب قديم دفين يرجع إلى أكثر من عشرين عاماً حين رشح الرئيس روزفلت نفسه لوكالة الجمهورية . فقد تابعه المؤلف منذ ذلك الحين وشغف به وتحمس له وتقصى كل نبأ عنه أو خبر له ، وطوى نفسه على متابته والقراءة عنه حتى نهى له اليوم أن يخرج كتاباً قياً في مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير

وانت كانت تجرى كتابة التراجم في اللغة العربية على نسق محدث ممل يعنى بالسرد والقص والحكاية والجمع والترتيب

الآمال ، حتى في الساعات الحرجة واللحظات المعصية ، لأن الإرادة القوية تغلب كل حرج ؛ وتتحكم في كل شدة . فهذا الرجل المشلول لا ينطوى على نفسه كمن تقدمهم الأدواء ولكنه طُلعة دءوب ، فكيف تصده آفة جسدية عن تحقيق مطامعه القوية ؟

ومضية كتاب « روزفلت » أنه ليس من الأدب المحض وحده أو الفن الصراح وحده ، فليس من نوع النثر الفني المقصود لذاته ؛ ولكنه فكرة قبل أن يكون كتاباً ، ومعنى قبل أن يكون لفظاً ، فهو طراز عال من كتب السياسة الأدبية التي أتجه إليها الكتاب في العصر الحديث . فلم يحاول فؤاد صروف فيه أن يكون طالماً غسب أو سياسياً غسب أو أديباً غسب ، ولكنه كان مزيجاً من ذلك كله . فهنا علم بالنظم الأمريكية ، وهنا معرفة بتيارات السياسة الدولية ؛ وهنا إحاطة واسعة بأحداث التاريخ الذي وعاه المؤلف في صدره ؛ وهنا أدب يتجلى في تعبير مترسل مستقيم النطق صحيح التسلسل ؛ وهنا ريشة مصور لا أقول إنها عنيفة ولكنها صادقة ترمم الحدود وتوضح المعالم في بيان وجلاء

وهو كتاب يذكرني بكتابات أندريه موزواه الفرنسي في تاريخ إنجلترا محمد عبد الفتاح م-٥

بما لا يهياً لكاتب عادي أن يصنعه . ولكن لدويج ترك ترجمة الحيوان إلى ترجمة الدوات ... فكُتب عن « النيل » كتابه الذي جسّد فيه هذا النهر الخالد كأنما كان يترجم لإنسان ولكتابة التراجم سيلان : سبيل الاتصال الشخصي بالترجم له والاختلاط به والعمل معه أو تحت ظله وفي ذراه ؛ وسبيل القراءة عن المترجم له وذلك لبعد الزمان بين الكاتب وبينه كما صنع أرفنج ودرمنجهم عن النبي ، أو لبعد المكان كما صنع فؤاد صروف مع روزفلت اليوم وإذا جمع كاتب التراجم بين قرب الزمان والمكان من المترجم له كان ذلك أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحق ، وخاصة إذا كان الكاتب غير ميال إلى الهوى في حكمه أو الفرض في رأيه . ولكن بعد الزمان وحده خير ضمان للاعتدال في الحكم لبعد الكاتب عن المؤثرات والمغريات

فسيرة ابن شداد عن صلاح الدين هي أقرب سير زماناً ومكاناً من المترجم له . فالؤلف معاصر لصلاح الدين وقاضي عسكره وناظر أوقاف بيت المقدس في عهده . وهي سيرة صادقة إلا أن فيها بالطبع بعض الميل

\*\*\*

جرت عادة القراء أن يبدأوا الكتب من أول فصولها . ولكنني قرأت « روزفلت » من الفصل الثالث . وهو عندي خير فصول هذا الكتاب القيم . فهنا سيرة زكية من النضال الكفاح . هنا قوة تسرى من الكتاب إلى القارئ فتوحى إليه أن الضعف ليس عدة الرجال ولا أداة الأبطال . هنا جسّد اصطلاح عليه المرض ومثى فيه الشلل ، ولكن عزيمته صاحبه كانت أقوى من أن تخضع للحوادث . هنا سيرة يقرؤها المريض فيصيح ، والضعيف فيقوى ، والهيابة المنكسر فيتقدم

وقد تمد فصول الكتاب الخمسة عقل القارئ بألوان من العلم والسياسة والمعرفة بأحوال العالم الجديد ونظمه ودستوره وبجلميه التتريبيين وحكومته ونظام اقتصاده ؛ ولكن الفصل الثالث يمد قلب القارئ بالشجاعة ويملؤه بالقوة ويجمله موصول

### مجموعات الرسائل

تباع مجموعات ( الرسالة ) مجلدة بالأمان الآتية :  
السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ،  
و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات :  
الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة  
والثامنة والتاسعة والعاشر في مجلدين . وذلك  
عنا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل  
وعشرة قروش في السودان وعمرون قرشاً  
في الخارج عن كل مجلد .